أسئلة حول مفهوم مصطلح حوار الحضارات ؟!

الدّكتور محمد بن قاسم
ناصر بوحجام (ج. باتنة)

مُقَـدّمة

تعالت أصوات كثيرة، متعدّدة الألوان والأشكال من هنا وهناك، تنادي بالحوار بين الحضارات، وعقدت ندوات، وأقيمت مؤتمرات، وكتبت مقالات...كلّها تركّز على التّعاون بين الشّعوب، وتحثّ على التّواصل الثّقافي. الهدف المعلن كان إزالة مظاهر التّوتّر والصّدام، وإتاحة فرص التّقارب والتّآلف والتّجاور، ومدّ جسور التّعاون واحترام الهويّات الثّقافية الخاصّة، وتقدير مكانة الحضارات المتنوّعة. أمّا الغايات المنشودة، والمخطّطات المعدّة فهي في حاجة إلى معالجة ومدارسة ومناقشة وتحليل، وفق المعطيات التي حرّكت بعض الأفراد والجماعات لتبنّي مشروعات حوار الحضارات، وعلى ضوء الواقع المعيش، الذي ظهرت فيه هذه الدّعوات وهذه المشروعات..

نحن في هذه الورقة نريد أن نبدأ، من حيث يجب أن نبدأ – حسب نظرنا – في هذا الموضوع، وبالأخصّ في نقطة: " أبعاد غائبة في حوار الحضارات ". البداية تكون في مناقشة المصطلح: " حوار الحضارات ". من حيث تحديد مفهومه، ثمّ متابعة تطوّره في حياة النّاس. مع تقديم مجموعة من أقوال بعض الدّارسين والمفكّرين، التي تحمل آراءهم. السّبيل إلى ذلك عرض مجموعة أسئلة حول هذا المفهوم:

- ماذا يعني هذا المصطلح في الثّقافات المختلفة. وما دلالاته في الواقع المعيش ، وكيف طبّقه من نادى به؟ ومن ركب متنه؟ وانطلق به بعيدًا؟

- ما هو الهدف من حوار الحضارات؟

- لماذا نتحاور؟ هل ليقنع كلّ طرف منّا الآخر بما يملكه؛ من أجل المعرفة والتّعارف؟ أم لجرّ أحدنا الآخرَ إلى صفّه؟بعد الانتصار عليه بأيّة وسيلة لفرض فكره وثقافته عليه؟

- هل نتحاور لإيجاد مساحات للتّفاهم والتّعاون والتّعايش؟

- هل نتحدّث عن الدّيانة، أم الحضارة، أم الفكر، أم الثّقافة؟

- أين نتحاور؟ في القضايا الاعتقادية، أم في الأبعاد الإنسانية والاجتماعية؟

هل – أصلاً – يجوز أو يسمح بتحديد مجالات الحوار، قبول بعض ورفض أخرى؟

- إذا كان الحوار يهدف أساسًا إلى الانصهار في ثقافة واحدة، فكيف يمكن التّخلّي عن الأصول والمبادئ؟ هذا في نظر من يرى في الحوار الوصولَ إلى كونية الثّقافة؟ هل هو هذا ما يحمله مصطلح حوار الحضارات؟

- إذا كان هذا الحوار لا يهدف إلى دعوة الآخر إلى التّخلّي عن منهجه وفكره وثقافته، ولو تبيّن له أحقيّة فكر غيره وثقافته، وقيمتهما وأفضليتهما على ما عنده، فهل يجوز إجباره على التّحوّل إلى ما هو أفضل وأعلى قيمة؟

- في المقابل إذا كان الحوار لا يهدف إلى تغيير مسار الفرد والجماعة الفكري، فأين نضع واجب الدّعوة الإسلامية في إقناع غير المسلمين باعتناق الإسلام؟ وأين نضع مقولة المسيحيّين الكاثوليك: " لا خلاص خارج الكنيسة " وكيف نقنع أنفسنا بعدم الانزعاج من عقائد اليهود المضرّة بالعلاقات بين النّاس؟

والمسبّبة اضطرابًا في حياة البشر؟ كيف يمكن أن نغيّر المعتقد الذي جاء في التّوراة، حسب ما يردّده اليهود: " أنا الرّبّ إلهكم الذي ميّزكم عن الشّعوب، ويكونون لي قدّيسين لأنّي قدّوس، أنا الرّبّ، وقد ميّزتكم عن الشّعوب لتكونوا لي" (سفر اللاّويين: الإصحاح 24/40).

- هل هؤلاء مستعدّون- بواسطة حوار الحضارات والثّقافات - للتّخلّي عن هذه العقائد المضرّة بالتّعايش السّلمي والرّضا بالآخر؟ والاعتراف بحقوقه؟

- هل يمكن أن يغيّر مصطلح " حوار الحضارات " بِمصطلح: تقارب الحضارات والثّقافات؟ أم هذا يكون نتيجة لما يحمله ويؤدّي إليه هذا المصطلح؟

- هل تؤثّر العولمة - سلبًا وإيجابًا - على مصطلح حوار الحضارات؟

- هل حوار الحضارات يسوق حتمًا إلى عالمية الثّقافة، أو عولمة الثّقافة؟

- هل من يدعو إلى هذا الحوار من مركز القوّة يهدف إلى الهيمنة ثقافيًا على العالم؟ بمعنى في طيّ هذا المصطلح نزعة ورغبة وجنوح وجموح إلى احتواء الآخر وترويضه لدمجه في نمطه الحضاري ومنظومته القيمية، وخططه المرسومة؟

- كما يجب تحديد العلاقة بين مفهوم الحوار وغيره من المفهومات، كالعولمة، والعالمية، والثّقافة، والحضارة، والقيم الإنسانية، وغيرها...

- هناك أيضًا بعض المقولات، أو النّظرات أو الاعتقادات أو القناعات... المنبثقة من مصطلح حوار الحضارات، تحتاج إلى تأمّل وعرض وتحليل ومناقشة:

أ - إنّ الحوار الذي يدور بين الغرب والإسلام، هو تصادم وصراع حضاري، وهو أوضح وأعنف من أي حوار أو صراع آخر بين حضارات أخرى.

ب - هناك تعارض بين القيم العلمانية السّائدة في الغرب، وبين القيم الإسلامية. هذا ما يجعل التّفاهم والتّقارب بعيد المنال.

ج - التّناقض التّاريخي بين المسيحية والإسلام. هل هذا سيكون عائقًا عن الحوار البنّاء؟

د – الصّراع – بدل الحوار – في الوقت الرّاهن والمستقبل سيكون ثقافيًا.

هذه الآراء يكون لها تأثير على استيعاب مفهوم الحوار بين الحضارات، ثمّ تبنّي منهجية معيّنة موصوفة وموجّهة...

كلّ هذه الأسئلة وغيرها تفرض علينا التّأنّي والتّثبّت والتّركيز... في تناولها والإجابة عنها لتحديد مفهوم مصطلح حوار الحضارات، ثمّ الانطلاق في تجسيده في الواقع، والتّحرّك لتحقيق الأهداف المسطّرة، آخذين بعين الاعتبار المعطيات والمتغيّرات التي تكتنف هذا التّوجّه، وتحيط بهذا التّفكير والتّحرّك وتديرهما...

هذه الأسئلة التي تنتظر الإجابات الدّقيقة الصّريحة الواضحة الجريئة، قبل مواصلة عرض مشروعات حوار الحضارات، تهدف إلى:

- فهم حقيقة هذا المصطلح، ومعرفة كيفية إسقاطه على الواقع، بكلّ معطياته ومتغيّراته، لنصل به إلى تحقيق السّلام والأمن والاستقرار، وتجنّب الصدّام والصّراع...

- إلى عدم تفويت الفرصة للتّقارب والتّعاون والانسجام، والإسهام في دفع مسيرة التّنمية والتّطوير إلى الأمام بقوّة وفاعلية، مع عدم فقد الذّات، وخسارة الخصوصية، وعدم الرّضوخ للضّغوط، والعيش تحت نير الهيمنة والقهر...

- توفير الاعتراف المتبادل، الذي يوفّر الاحترام المتبادل.

- الانتقال من فلسفة الصّراع إلى فلسفة التّدافع بين الحضارات والثّقافات. وهو حِراكٌ ثقافي حضاري يوفّر التّوازن والعدل في العلاقات.

نحن بعرضنا هذه الأسئلة لا نقصد الوقوف عند الدّلالة المعجمية للمصطلح، ولا التّعريف الأكاديمي له، ولا ما يوحي إليه من إشارات معرفية...إنّما نريد أن نعرف مفهوم المصطلح مطبّقًا في حياة النّاس، بعد أن نظّر له المنظّرون بِما يحقّق أهدافهم، ويلبّي رغباتهم، ويضمن مصالحهم...ثمّ الوصول إلى ما يجب أن يكون عليه " حوار الحضارات "، بعد إماطة الأذى عنه، الذي يلحقه؛ بسبب سوء استثماره في الخير، وسوء استغلاله في الميدان.. وعرضنا لهذه الأسئلة لا يُنتظَر منه إجابات نهائية، إنّما الغاية هي إثارة الموضوع من جديد، ودفع مسيرة البحث فيه إلى الأمام..

تحديد مصطلح حوار الحضارات

بقدر ما نؤكّد على ضرورة أن يكون هنالك حوار بين الثّقافات والحضارات لتتعارف فتتقارب، فتتعاون على العمل المثمر، بعد أن تسود بين أتباعها الثّقة، وينتشر الوئام والطّمأنينة والاستقرار... فإنّنا لابد أن نقف مليًّا للنّظر في هذا المصطلح، وإعادة قراءة مدلوله من جديد، وتحديد ما يجب عمله انطلاقًا من فقه حقيقته، ووعي مضامينه. منطلقين في هذا من دراسة التّاريخ، ومتابعة تطوّر تطبيق هذا المصطلح في الميدان، والنّتائج التي ترتّبت عن ذلك، ثمّ توضيحه وتحديد حقيقته أو مضامينه أو دلالاته في سياق العصر، وتجدّد ملامحه، وتغيّر معطياته، وتطوّر قسماته وأبعاده.

هذا الفهم الواعي المسئول هو الذي يعيّن لنا: كيف تكون الخطوات، وكيف يتمّ العمل،. يقول الدّكتور عبد الله التّطاوي: " كثر الجدل، وتعدّدت المواقف والقراءات، وتنوّعت مسارات الاجتهادات حول الحدّ الاصطلاحي بين المفردات، من حيث الدّلالة المعجمية، والتّتبّع التّاريخي، إلى مستوى الإيقاع المرحلي، إلى الوفاء بمتطلّب الفترة وظروف العصر، الأمر الذي بات مطلبًا ملحًّا

للتّحوّل إلى محورٍ للمناقشة عبر المؤتمرات والنّدوات والكتابات، التي تعدّدت صيغها ومصادرها تعدّد آلياتها ومقاصدها."[1]

هذا العطب الذي أصاب المصطلح، فعطّله عن الوصول إلى الأهداف الصّحيحة التي علّقت عليه؛ بسبب سوء التّعامل معه، أو الإخلال بموجبات توظيفه، فَرَضَ عرض مجموعة من الأسئلة، التي تعيد القراءة الواعية لحوار الحضارات، لترجع الأمور إلى نصابها. يضيف عبد الله التّطاوي، إنّه لابدّ " أن تعاد قراءة الأشياء، وأن يعاد طرح المصطلح، بمنأى عن عشوائية الفهم، أو مقاصد التّداخل، أو الإيهام، التي ربّما يرمي إليها بعض المرجفين، إمّا عن غفلة وقصور في الإدراك العلمي استقراء واستقصاء، وإمّا عن مقاصد غير طيّبة في محاولة المساس بتاريخ الأمم والشّعوب، أو انتقاص حقّها في منظومة العطاء الإنساني، التي يسجّلها التّاريخ عبر وثائقه ومصادره. "[1]

مهما تكن الدّوافع في تحريف المصطلح عن مقاصده الحقيقية، فإنّ في ذلك مساسًا بمقوّم، أريد له أن يقوم بدور مهمّ في توفير أجواء التّعاون والتّعايش بين بني البشر، بِمختلف مشاربهم ومنازعهم وتوجّهاتهم ومعتقداتهم. وهو ما يدفع أيضًا إلى تقديم مجموعة من الأسئلة لتصحيح هذا التوجّه وهذا المسار في منحى " حوار الحضارات ".

إعادة قراءة الواقعِ وطريقةِ تعامل بعض النّاس مع المصطلح تتيح الفرصة لاستبعاد بعض المفرداتِ، التي وظّفها بعض المفكّرين في توجيه مسار الحياة بحسب أهوائهم، أو بحسب نزعاتهم. كفرض بعض المفهومات على الواقع، ودفعها إلى وعي النّاس، محمّلة بأخطاء قاتلة، مثل العولمة والمثاقفة، اللّتين تحوّل بهما بعض المنظّرين والمطبّقين، من مسار حوار الحضارات إلى صراع الحضارات كما يرى ذلك " صموئيل هنتنغتون Samuel. Huntington " أنّ العولمة " ليست المثاقفة التي تعني التّبادل والحوار والإثراء، وإنّما تعني العولمة الصّراع

الحضاري والثّقافي. بين الثّقافات، والذي سوف يشكّل إحدى الأسس الرّئيسية، التي تحكم السّياسة العالمية في القرن القادم. أي إنّ هنتنغتون يرى بعد انتهاء الحرب الباردة، وانهيار المجابهة بين الحلفين، التي شكّلت جزءًا كبيرًا من القرن العشرين، فإنّ العولمة سوف تعمل على ظهور صراع جديد بين الثّقافات الأساسية الموجودة. وخاصّة بين الحضارة الغربية والحضارتين الإسلامية والكونفوشيسية. "[1]

هذا الفهم ينفي وجود حوار بين الحضارات، ويكرّس مفهوم الصّراع بين الثّقافات والحضارات، إذ يتحوّل الحوار بهذه النّظرة إلى صراع، يهيمن فيه القويّ على الضّعيف، في إطار عولمة الثّقافة.و وهذا بدوره يفرض أسئلة لمعرفة نوايا أصحاب هذا الرّأي، أو هذا التّوجّه، هل يرون في الحوار فرصة للهيمنة والسّيطرة؟ أم لا يؤمنون أصلاً بالحوار. ويطمعون فقط في محو الثّقافات التي لا تتناسب مع فكرهم من الوجود؟ في هذا ضبابية وعدم وضوح الرّؤية في موضوع حوار الحضارات. التي يختلف في النّظر إليها أهل الشّمال عن أهل الجنوب. فأهل الشّمال يرون أنّ مستقبل العلاقات بين الثّقافات والحضارات في ظلّ العولمة ستكون مبنية على أساس الصّراع. " وفي مقابل هذا الطّرح الغربي، ترى دول الجنوب أنّ استمرار الغرب ادّعاء العالمية ورفض الحوار قد لا يترك للقوميات السّليمة، المؤمنة بالتّعاون والحوار بين الأمم ملجأً يقيها من الذّوبان والإمحاء والتّآكل، إلاّ في تقوقعها على ذاتها واحتمائها بجلدتها. فشعار التّعاون العالمي يغدو زائفًا، حيث يعني سيطرة دول معيّنة أو دول بعينها على مصير الآخرين، تصوغه لمصلحتها، هو الذي سيحيل العولمة، بهذا المعنى الزّائف أداة صراع بين الأمم، وهو الذي سيؤدّي إلى استشراء النّزاعات، وإلى انقسام العالم كتلاً متخاصمة، وإلى سقوط العولمة. "[1]

[1] – المرجع السّابق، ص: 161. ينظر أيضًا عبد الله عبد الدّائم، " التّربية والقيم الإنسانية في عصر العلم والتّقانة والمال"، مجلّة المستقبل العربي، العدد: 230، سنة:1998، ص: 77.

هذا المفهوم للعلاقة بين الثّقافات يقوّض فرص الحوار، أو يشوّه مفهومه، إن حصل هذا الحوار، وهو ما يجعل المصطلح عائمًا غائمًا هائمًا في متاهات المقاصد والمصالح الخاصة، التي لا تساعد على السّير بخطى متّزنة في المضمار؛ لأنّ مفهوم الحوار يغدو مبهمًا. كما يجعل العلاقة بين المفهومات الأخرى، التي لها صلة به غير واضحة المعالم والمقاصد. كالعالمية، والثّقافة والحضارة والقيم..إذ المفروض أن يتناول حوار الحضارات هذه المفهومات، أو على الأقلّ يتعامل معها، ويناقشها ويحاورها ويستلهمها في صيرورته، بما تحمل من القيم والمقوّمات الحقيقية.

من جهة أخرى هناك من يرى في العولمة فرصة تساعد على" التّرابط بين مجموع التّنوّعات الثّقافية"[1] هذا التّرابط الذي ينطلق من وعي بوجوب التّواصل بين الثّقافات عن طريق الحوار والتّعاون، في الوقت نفسه تحافظ كلّ ثقافة بخصوصياتها، التي تميّزها عن ثقافة أخرى. لكن التّوجّه الغربي الذي تبنّاه بعض المنظّرين والممارسين للعولمة، لا يحقّق هذا، بل بالعكس يؤدّي إلى نقيض ما يرجوه الحوار من العولمة. هل يبقى أيضًا هذا المفهوم غائمًا، تلفّه الضّبابية؟ وهل التّقارب بين الثّقافات في ظلّ العولمة يفرز صراعًا، أم ينتج حوارًا؟

المفروض أن تسعى الجهود إلى فتح الحوار، ونبذ الصّراع. ولكن هل وصل الوعي إلى درجة السّير في طريق الخير؟ والتّوجّه إلى تسخير المحصّل عليه في إقرار الأمن والاستقرار والتّعاون والتّعايش؟ هل يمكن أن يكون لنظرة الدّكتور عبد الله التّطاوي مكان في تفكير من يدير الحوار، ويجريه في الواقع المعيش، وهو يدعو إلى تجاوز عتبة المصطلحات المضلّلة أحيانًا، والغامضة أخرى: " لم يعد الوقت ولا المرحلة تسمح باجترار مفردات الصّراع الحضاري،

[1] – المرجع السّابق، ص : 153. ينظر أيضًا محمد سعدي، " تقرير عن النّدوة الدّولية: إشكالية التّواصل الحضاري بين الشّرق والغرب "، مجلّة المستقبل العربي، العدد: 233، سنة 1998م، ص: 61.

التي ثبت فيها التّجاوز للحقائق، ولا حتّى مفردات الحوار؛ باعتبارها النّموذج الأفضل للتّثاقف ولقاء الأفكار، وتجانس المواقف؛ ذلك أنّ البحث في دائرة المشترك الإنساني، قد تبدو أكثر فائدة، من قبيل التّأصيل لكلّ ما هو إنساني جامع بين البشر، بعيدًا عن التّقسيمات المصطنعة بين الأجناس وأهل الأديان، وعبر الزّمان والمكان. يبدو المنطلق الأساسي في المشترك مسجّلاً في النّصّ القرآني الكريم، من قوله تعالى: ﴿ يأيها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ منْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وجَعَلْناكُمْ شُعوبًا وَقَبائِلَ لتَعارَفُوا...﴾ (سورة الحجرات، الآية: 13) "[1]

هل في هذا رفض للمصطلحات التي تسبّب مشاكل بسبب اختلاف تفسير النّاس لها، أو وعي حقيقة ما تتضمّنه، فتختلف الممارسة والتّطبيق تبعًا لذلك؟ لذا يجب الذّهاب مباشرة إلى التّطبيق العملي، من دون المرور على جسر المفردات والمصطلحات. مهما يكن الأمر فنحن سنبقي على مصطلح " الحوار "، ونراه ضرورة حضارية.

حوار الحضارات ضرورة حياتية

يبدو أنّ صدمة الاختلافات في تطبيق شعار حوار الحضارات في الميدان، التي تؤدّي إلى تباعد الثّقافات، بدل تلاقيها، هو الذي دفع بالدّكتور عبد الله التّطاوي إلى الدّعوة إلى ترك المصطلحات، والاهتمام بالجانب العملي، أمّا هو فيؤمن بضرورة التّعامل في الميدان بالمصطلحات، ولكن بشرط أن تكون واضحة المعالم في الأذهان، تتسّم بنبل المقاصد، وتنطلق من النّوايا الصّادقة. يقول: " الحوار – في حقيقة الأمر – حالة علمية، لها بعد إنساني واجتماعي وقيمي وسلوكي، يضمن صدق النّتائج، إذا ما حسنت أدواته وآلياته، كما يضمن صحّة المنهج وسلامة الموقف، إذا صحّت معه الصّيغ والمقاصد والنّوايا، قبل أيّ اعتبار. " [2]

[1] – الحوار الثّقافي، مرجع سابق، ص: 89.

[2] – المرجع السّابق، ص: 163.

كما يقال: مادام الشّرق والغرب يعيشان متجاورين " فلا بدّ أن يلتقيا، فإن لم يلتقيا فلابدّ أن يتعاونا، والتّعاون يقوم على الاعتراف بأنّ لكلّ واحد خصوصيته وشخصيته، ولا يمكن لأحد أن يلغي شخصية الآخر وخصوصيته، ولكن رغم الاختلاف فهناك عوامل مشتركة، ينبغي أن تكون منطلقًا للحوار والتّعاون، ولابدّ من البناء عليها. الشّرق لا يستغني عن الغرب، كما أنّ الغرب لا يستغني عن الشّرق، وهناك الكثير من المصالح المشتركة بينهما...

وهذا يستدعي التّفكير في حوار يزيل العداء المفتعل – ولأغراض سياسية – بين الإسلام والمسيحية، والذي راح ضحيته الجميع من مسلمين ومسيحيين، وأنّه ينبغي إقامة حوار جادّ وعلى أصول راسخة بين المسلمين والمسيحيّين، وتقويته و إدامته، وبذل الجهود كي يظلّ متواصلاً..." [1]

هذا النّداء يعني أنّ هناك مشاكل تعترض هذا الحوار، الذي يجب ألاّ تؤثّر عليه. بل لابدّ أن يظلّ قائمًا، يتدرج ويتطوّر. مسبّباته ومعوّقاته نفوس مريضة، وأهواء زائغة، ومصالح معطّلة للسّير السّوي..يجب تجاوزها لفائدة البشرية كلّها.

بقول الدّكتور محمد عمارة: " ولأنّ التّعاون هو غاية التّعدّدية، ولأنّ الحوار هو سبيل هذا التّعاون بين بني الإنسان، كان الحوار فريضة من فرائض الإسلام. والذين يقرؤون القرآن الكريم يدركون دوره ودور الحوارات المتعدّدة في سوره وآياته، في صياغة الرّوح الحوارية عند الإنسان المسلم، تلك التي تجسّدت في علاقات الإسلام وأمّته وحضارته مع الآخرين. "[2]

---

[1] – الدّكتور محمد علي عمر الفرّا، الإسلام والغرب مواجهة...أم حوار، ط1، دار مجدلاوي للنّشر، عمّان، الأردن، 1422هـ/ 2002م، ص: 210.

[2] – الدّكتور محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ط1، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، 1423هـ/ 2003م، ص:.

يعطي الشّيخ محمد الغزالي الدّليل من القرآن على وجوب التّحاور الحضاري، عن طريق التّبادل الحضاري. حتّى ولو جاء عرض الفكرة على شكل سؤال، لكنّه استفهام يحمل طابع التّقرير والتّوجيه إلى السّعي في تحقيق ذلك: " إنّ القرآن بسط نماذج من حضارات الأمم السّابقة وتجاربها وعقائدها ومشاكلها الأخلاقية، وأنظمتها السّياسية بمساحات كبيرة، لتكون الحكمة عند المسلم، التي تجعله ينتفع بتجارب الآخرين. فهل يمكن أن يعتبر ذلك مؤشّرًا على ضرورة التّبادل الحضاري؟ و إباحة الإفادة ممّا عند الآخرين، بما لا يتعارض مع القيم الإسلامية؟ "[1]

إنّ القرآن يقدّم التّوجيه الحسن في علاقات النّاس فيما بينهم ، وهو التلاقي عن طريق الحوار، لتتحقّق إحدى حكم الله من خلقهم، ولتتجسّد إحدى وسائل عمارة الأرض بهم. بل إنّ القرآن يعطي الدّليل العملي لهذا التّلاقي بواسطة الحوار، الذي يفضي إلى معرفة ما عند الآخر. يقول الشّيخ محمد الغزالي: "..فكون القرآن يعرض لأنواع من العقائد والملل والأفكار والاتّجاهات، ويناقشها ويدعوها إلى المحاججة و الجدل والمباهلة، فهذا دليل على أنّه لا مانع من معرفة ما عند الآخرين، حتّى العقائد عرض لها القرآن، إذ كيف يعالج الإنسان قضية لا يعرفها؟ وكيف يحاور أناسًا لا يطّلع على ما عندهم؟ فالقرآن أباح للمسلم أن يطرح على السّاحة الإسلامية عقائد الآخرين... يعني أنّ القرآن الكريم طلب إلى المسلم الشّهود الحضاري، ووجوب التّعرّف على الآفاق الثّقافية والحضارية..."[2]

فالحوار مطلوب، بشرط سلوك الطّريق السّليم في تطبيقه في الميدان. فهو الرّباط الذي يربط الأنا بالآخر برباط التّفاهم والتّعارف والتّعاون، وهو

[1] – محمّد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار المعرفة، الجزائر، (د.ت)، ص: 216.

[2] – المرجع السّابق، ص: 223.

السّبيل إلى تضييق شقّة الشّقاق والاختلاف بين الثّقافات، وهو الوسيلة إلى نزع فتيل الصّراع بين الحضارات...يقول الأستاذ محمد محفوظ: " والحوار بين الإنسان من النّوافذ الأساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية بدونها، وعليه فالحوار لا يدعو الآخر إلى مغادرة موقعه الطّبيعي، وإنّما هو لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها والانطلاق منها مجدّدًا ومعا في النّظر إلى الأمور."[1]

القرآن يريد من المسلمين أن يروا بمنظار واسع، وأن تكون الفضاءات التي يلتقون فيها مسارح للقاء الأفكار، وتلا قح المعارف وتمازج الحضارات، وحصول المثاقفة. يريد أن يكون العالم منتدى أمم وشعوب وثقافات وحضارات وشرائع...[2] يقول الدّكتور عبد الله التّطاوي:" ليس من المبالغة أن نزعم أنّ الثّقافة الإسلامية قد نهضت على أساس الحوار، بدليل المطلوب الجدل المشروط بالحسنى، والدّعوة بالحكمة، واحترام الآخر، على مختلف انتماءاته العنصرية وعقائده، بدليل ما درجت عليه من انفتاح ذهني عبر حركة التّرجمة من العربية وإليها، دون تحفّظ أو تعقيد. فكانت كلّ لغات المرحلة داخلة في عباءة العربية؛ نقلاً منها أو إليها، دون جمود أو انغلاق، بقدر ما كانت سبيلاً من سبل المشاركة والإضافة والابتكار..." ([3])

هذا المطلب نجده عند بعض الأشخاص الواعين بهذه الحقيقة من الغربيّين، يجسّد هذا الشّعور ما ورد في الفقرة الآتية: "...ثمّ تنامي الاحتكاك بين الأفراد

---

[1] – محمد محفوظ، " الإسلام والحوار الثّقافي"، www . writers.alriadh.com.sak

[2] – ينظر في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 6. والدّكتور إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية، ط1، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكية، 1429هـ/ 2008م، ص: 371، 378، 379.

[3] – الحوار الثّقافي ..مشروع التّواصل والانتماء، مرجع سابق، ص : 113. عن الرّؤية الإسلامية التي تتميّز بالاعتراف بالآخر كجزء من ذات الخلق الإلهي الواحد...ينظر في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 7.

من الدّيانات المختلفة، الذي فرضه عامل الهجرة المتنامي من الشّرق إلى الغرب، وقد عبّر عالم الدّيانات (كانتويل سميث) عن هذه الحقيقة بقوله: كلّما ازداد وعينا بمن حولنا وجدنا أنّهم غدوا جيراننا وزملاءنا في العمل، إنّهم ليسوا فقط معنا هناك، على طاولة الأمم المتّحدة، ليست فقط حضارتنا بمجموعها متأثّرة بهم، بل نحن نتأثّر بهم على المستوى الشّخصي، فنحن نشرب القهوة يوميًّا معًا." [1]

كلّ ذلك يدفع إلى التّأكيد على ضرورة الحوار، بدل التّناقض والتّصادم، فالحوار يكفل التّكافل والتّكامل في إثراء مسيرة الإنسان، وتطوير فكره، وإغناء تجاربه. والسّؤال الذي يبقى مفتوحًا هو كيف نعي هذه الحقائق؟ وكيف نطبّق هذه الأفكار في الميدان تطبيقًا صادقًا؟ وهل فعلا نحن مستعدّون للتّجاوب مع هذه الحقائق؟ فنتحاور لنوجد مساحات للتّفاهم، فالتّعارف، فالتّعايش، فالتّعاون...؟

المطلوب الخروج من نقطة الوقوف عند المصطلح (الحوار)، والنّزول إلى الواقع لنعرف كيف يطبّق، وكيف يتعامل معه، ثمّ يكون العزم والتّخطيط لتحديد الخطوات العملية الصّحيحة في تجسيد متطلّبات هذا المصطلح الحقيقية، والوصول إلى الأهداف النّبيلة المنوطة به. إنّ هذا من الأبعاد الغائبة في عملية الحوار الجادّ الصّادق. أو على الأقلّ ما يزال العمل على تسييره على قواعد سليمة من كلّ غشّ وخداع ناقصًا.. وهناك جوانب أخرى في حاجة إلى تشريح والسّؤال عن مدى ارتباطها عمليًا بمفهوم مصطلح " حوار الحضارات ".

[1] – دعاء محمود فينو، " الحوار المسيحي الإسلامي، قراءة في كتاب: التّصوّرات اللاّهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان" تأليف محمود إيدن": مجلّة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، السّنة الحادية عشرة، العدد: 44، ربيع 1427هـ/ 2006م، ص: 154.

هل الحوار في مضمونه هو صراع؟؟

ما يزال الشّك يراود كثيرًا ممّن فقدوا الثّقة في نزاهة الغرب في سلوكه وتحرّكانه ومخطّطاته... أنّه يسعى إلى تأجيج الصّراع، تحت غطاء الحوار. يرى بعض الدّارسين أنّ هناك أفكارًا أو نظريات أسّست للصّراع بين الحضارات، بدل تبنّي مسلك الحوار، نظريات أنتجها مفكّرون كبار، فكان ذلك حجّة ومبرّرًا لتأجيج الصّراع بين الثّقافات. بقول محمد عمارة: " لقد ساعدت هذه النّظريات الثّلاث(الهيجلية، والدّاروينية، والصّراع الطّبقي) التي صبغت هوية الحضارة الغربية، بصبغة الفلسفة الصّراعية على إماتة الضّمير الغربي، إبّان صراعه، مع الحضارات غير الغربية. فبما أنّه هو الأقوى، فهو إذن الأصلح، ولذلك فإنّ صراعه ضدّ الحضارات الضّعيفة، والبنى الموروثة للأمم المستضعفة، هو قانون علميّ، وهو رسالة نبيلة يقوم بها هذا الرّجل الأبيض لإزالة الماضي والمواريث والمؤسّسات الضّعيفة، وإحلال النّموذج الحضاري الغربي القويّ والأقوى في العالم كلّه عبر التّطبيقات المتنوّعة لفلسفة الصّراع. " [1]

يكاد يكون هذا الرّأي هو ما أجمع عليه من درس الحضارة الغربية، ومن تتبّع مسيرتها، ورصد حركاتها في الميدان، فتكوّنت له قناعة كاملة أنّ الحوار بينها وبين الحضارات الأخرى والثّقافات الأخرى ليس إلاّ صراعًا، يهدف إلى صرع الآخر ومحو آثاره من الوجود، والسّيطرة عليه. يقول إبراهيم محمود عبد الباقي: " ففكرة الصّراع الحضاري، أو التّحدّي الحضاري، أو صراع البقاء للأقوى، أو الصّراع الطّبقي هي الأساس الذي تقوم عليه تلك الحضارة (الغربية). والصّراع هنا لا يعني إلاّ محاولة إلغاء الآخر بشتّى الأساليب

[1] – فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 63.

والوسائل، والطّبيعة العدوانية لهذه الحضارة، يجعلها تنظر للآخرين نظرة دونية، وتحاول أن تصرعهم وتتغلّب عليهم." [1]

يحمل النّصّ وصفًا سلبيًا للحضارة الغربية، وهو ما يدعو إلى التّشاؤم من إجراء أيّ حوار معها؛ قصد التّعارف والتّعايش. فهي أصلا لا تفتح بابًا للحوار. فعبارات النّصّ ركّزت على (الصّراع الحضاري، التّحدّي الحضاري، صراع البقاء للأقوى، الصّراع الطبقي). وكلماتها حدّدت الأهداف المنشودة (محاولة إلغاء الآخر، الطّبيعة العدوانية، نظرة الدّونية للآخرين، تحاول أن تصرعهم وتتغلّب عليهم).

كان هاجس المسيحيّين هو كيفية مقاومة المدّ الإسلامي، بل الخطر الإسلامي على العقيدة المسيحية، فرأوا أنّ عليهم أن يعملوا على تأمين عقيدتهم من الإسلام المرعب المرهب، حسب ما يقولون. فقال بعضهم بوجوب التّعامل مع المسلمين كما تمّ التّعامل مع البرابرة الأوروبيّين، من قبلُ، أي بتنصيرهم ([2]) ولكن لا يتمّ هذا بالسّيف، إنّما بالحجّة والإقناع، أي عن طريق الحوار. وقد نادى بهذا الرّأي "بطرس المبجل Peter the Vénérable (1059 – 1156م). " اعتقد بطرس أنّ الصّراع مع الإسلام ضرورة حتمية، ولكن ليس بالسّيف، وإنّما بالحجّة والإقناع، وقد اعتبر المسلمين هراطقة، وبالإمكان إعادتهم إلى حظيرة الكنيسة. وقد حاول تطبيق ذلك بتوجيه رسالة إلى العرب المسلمين. ([3])

---

[1] – الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص: 326.

[2] – الإسلام والغرب..مواجهة أم حوار، مرجع سابق، ص: 45.

[3] – المرجع نفسه. ينظر أيضًا، أليكسي جورافسكي؟، " الإسلام والمسيحية"، عالم المعرفة، رقم 215، الكويت، تشرين الثّاني (نوفمبر)، 1996م، ص: 39، 40. تراجع الرّسالة في ,, Reeves. M (Muhammat in Europe) Gamet Publishing,. 200, pp. 111- 112 U.K,. ينظر الرّأي نفسه، كتاب فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 139.

إنّ الحوار الذي يراد فتحه موجّهٌ إلى غاية محدّدة، هو إرجاع المسلمين المنسلخين من العقيدة الصّحيحة، التي جاءت بها النّصرانية إلى حظيرة هذه الدّيانة الأصلية. أكيد أنّ فشل المحاولات في الوصول إلى المراد بالحجّة والإقناع، وبالحوار، سيحوّل الأمر إلى مواجهة وصراع. إذن فالحضارة بهذه المواصفات، كيف يمكن أن يفتح معها حوار؟ وكيف ينتظر منها تلاقٍ أو تعارف؟ فضلا عن التّعايش؟

كما أنّ الشّكوك التي تطغى على أفكار الغربيّين، على أنّ العرب والمسلمين يمثّلون صورة غير حسنة، بل قبيحة، هي كلّها عدائية وعدوانية وكراهية للغرب لا تسمح بإجراء حوار نزيه وجادّ ومثمر، إلاّ إذا تغيّرت هذه الصّورة، بتعاون الطّرفين.

عقدت ما بين السّابع والتّاسع من شهر يونيو سنة 1998م في بريطانيا، ندوة لدراسة صورة العرب كما يراها الغرب. " انطلق الحوار الذي دار في النّدوة من نقاط محدّدة وفرضيات معيّنة، كان من أهمّها:

1 – لا زال الرّأي العام الغربي ينظر إلى العالم العربي بالشّكّ وعدم الثّقة، كما تكشف عنها الأحداث الخالية.

2 – يتخيّل الأوروبيّون والأمريكيّون الشّرقَ الأوسط على أنّه منطقة مخيفة، يسودها الإرهاب، ويعمّها الاستبداد، وتنتشر فيها أسلحة الدّمار الشّامل.

3 – ساهمت هذه التّخيّلات والتّصوّرات في توتّر العلاقات، وساعدت على فرض العقوبات الاقتصادية، واستخدام القوّة العسكرية أحيانًا. وهي إجراءات ومعايير لا يطبّقها الغرب إلاّ على العرب، دون سواهم من الأمم والشّعوب. وهذه التّصوّرات كانت المسؤولة إلى حدّ كبير عن التّحامل على العرب والانحياز ضدّهم. " [1]

[1] – الإسلام والغرب..مواجهة أم حوار، مرجع سابق، ص: 102. هذه النّدوة كانت من تنظيم المعهد الملكي للدّراسات الدّينية في الأردن ومركز الشّرق الأوسط في كلية " سانت أنتوني" ومركز الدّراسات اللّبنانية.

هذه النّدوة بيّنت بوضوح مدى الشّقّة الكبيرة التي ما تزال بين العرب والغرب كي يتعارفا، وأبرزت المشقّة الكبيرة التي يتلقّاها من يبادر إلى القيام بما يزيل هذه الشّكوك، ويقضي على التّوتّر. وهو في الوقت ذاته يدعو ويفرض المبادرة إلى الحوار. لكن بشرط أن يكون في مساره الصّحيح، وبشروطه الموضوعية.

جانب آخر كشف عنه الدّارسون في الحضارة الغربية، الذي لا يخدم الحوار النّزيه، ولا يفيد في التّعارف والتّقارب والتّكامل...ممّا ينشده الحوار، وهو وصف الحضارة الغربية بالمادية والنّفعية الخالصة. إذ الحوار معها بكون مربوطًا بالتّقدّم المادي، الذي يعترف به إذا كان محقّقًا لتطّور قوى الإنتاج، ولا يهمّه التّقدّم في المجال الرّوحي، وما يخدم العقيدة والأخلاق، وهما اللّذان يكفلان ربط العلاقات الحقيقية بين الشّعوب والثقافات، مختلفة الألسنة والألوان، فتتقاربان وتتعايشان في أمن وسلام. " والمقصود بالتّقدّم في الغرب: التّقدّم المادي فقط، وبذلك يصبح معيار التّقدّم العقدي والأخلاقي خاضعًا للتّقدّم المادي /التّقني/ الإنتاجي. فمصطلحات مثل الحقّ والعدل والظّلم والضّلال، لا قيمة لها إلاّ إذا أسهمت في التّقدّم المادي. فالانحطاط الأخلاقي يصبح تقدّمًا إذا كان يخدم تطوير القوى الإنتاجية، والظّلم يصبح عملاً مشروعًا إذا كان يستهدف الرّقيّ المادي. فنظريات الغرب قامت بربط التّقدّم بتطوير العلوم والتّقنيات وأدوات الإنتاج فقط." [1]

إذا كانت الحضارة الغربية بهذه المواصفات، التي تلغي القيم الفاضلة، بل تقلب الموازين، وتغيّر المضامين، وتحرّف الأهداف بما يخدم الأغراض الخاصّة. وإذا كان مفهوم التّقدّم بهذه النّظرة، فكيف يمكن أن يكون هناك حوار، يهيّئ

[1] – الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص: 322، 323.

فرص التّلاقي، ويدفع ويرغّب في التّقارب للتّعارف، ثمّ التّعايش؟ بل إنّ هذه النّظرة تؤدّي إلى الصّراع.

هذا ما تتضمّنه ثقافة الغرب، التي تسعى إلى الهيمنة والسّيطرة واستلاب الحريّات، والسّطو على الحقوق...وقد وجد الدّارسون لذلك أمثلة من الوقائع في الميدان، وسجّلوا لها أدلة إدانة في الحوادث المتكرّرة. يقول الدّكتور محمد عمر الحاجي: "...وما هي إلاّ أيّام حتّى أثبتت الوقائع أنّ حرية العالم الرّأسمالي الذي يتبجّح بها الرّأسماليون، لا يمكن أن تتحقّق إلاّ على حساب حرية الشّعوب الأخرى، وبالتّالي عمد النّظام الرّأسمالي إلى ربط الكلّ بالمركز، وهذا جوهر العولمة." [1]

يضيف الدكتور قائلاً: " فهذا هو الهدف الواضح من العولمة الثّقافية، فهي لا تبتعد عن كونها سياسة إمبريالية، نشأت من رحم الاقتصاد، ودُرست بعناية فائقة، ووُضع لها الهدف المحوري، وهو تسويق النّموذج الرّأسمالي اللّيبرالي، سواء أكان ذلك في مجالات الاقتصاد ،ام في مجالات السّياسة أم الفكر، أي السّيطرة على العالم من خلال اختراقه ثقافيًا وإعلاميًا وفكريًا واقتصاديًا واجتماعيًا، حتّى ولو كان ذلك على حساب صهر خصوصيات الشّعوب الأخرى في بوتقة الرّأسمالية، أو على حساب التّبعية الحضارية للأنموذج الأمريكي ونحو ذلك." [2]

هل هذه المفاهيم هي الحقيقة التي يحملها أصحاب هذه الحضارة؟ ما مدى صحّة هذه الاتّهامات الموجّهة إليها؟ وما هي المعطيات التي بلورت هذه الطّعون في الثّقافة الغربية؟ هل يمكن تجاوز هذه النّظرات من أجل حوار بنّاء، يؤسّس

[1] – الدّكتور محمد عمر الحاجي، عولمة الإعلام والثّقافة، ط1، دار المكتبي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 1423هـ/ 2002م، ص : 114.

[2] – المرجع السّابق، ص: 116.

قواعد للتّعارف، ثمّ التّقارب، ثمّ التّعاون، ثمّ التّعايش؟ والابتعاد عن الصّراع. إنّ هذه من الأبعاد الغائبة في حوار الحضارات، التي ينبغي العمل على إحضارها في ساحات المناقشة والمجادلة والاحتكاك.

هل الحضارة الغربية قامت لتلغي الحضارة الإسلامية؟؟

طبيعة العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى، وصفها بعض الدّارسين بأنّها صراع من أجل البقاء، وصرع للآخر كي يخلو الجوّ للأقوى. هذه الفكرة أقنعت بعضهم أنّ الحضارة الأولى التي يجهد الغرب ويجاهد أن يجهز عليها هي الحضارة الإسلامية. لهذا توقّع دارسون أنّ المجابهة بين الغرب والإسلام ستكون في الواجهة. يقول محمد علي عمر الفّرّا: "... ولا شكّ في أنّ الحديث عن صدام الحضارات المنسوب إلى صموئيل هنتنغتون قد سلّط الأضواء على ما يشاع من مجابهة بين الإسلام والغرب في الحاضر والمستقبل. وعلى الرّغم من تصدّي الكثيرين للرّدّ على هذه النّظرية الخاطئة، إلاّ أنّها لاقت قبولاً عند كثير من الذين ظلّت صورة العرب والمسلمين السّلبية عالقة في أذهانهم، ويتصيّدون الأخطاء لهم، وينسبون لهم أمورًا تضرّهم. فعلى سبيل المثال استاء كثير من العرب والمسلمين حينما أطلقت بعض وسائل الإعلام الغربي على القنبلة النّووية الباكستانية مصطلح " القنبلة الإسلامية "، في حين لم تطلق على قنبلة الهند " القنبلة الهندوسية "، وعلى القنبلة الإسرائيلية " القنبلة اليهودية "، ولم نسمع بقنبلة مسيحية، على الرّغم من تصنيع أقطار أوروبية مسيحية وأمريكية لها. ألا يدلّ هذا على التحامل على الإسلام، وتحيّز ضدّ المسلمين؟ وإشاعة الخوف منهم، والكره والبغضاء لهم؟ لقد أطلق بعض الكتّاب في الغرب

مصطلح" إسلام فوبيا " بمعنى الخوف من الإسلام. وفي ذلك إساءة للإسلام والمسلمين [1]

هل هذا صحيح؟ هل لهذا الزّعم أو العرض أو التّقرير ما يؤيّده في الواقع؟ هل معنى ذلك أنّ الحوار إمّا ألاّ يكون؟ أو يكون ولكن يتحوّل إلى صراع؟ أم سيكون فيه دجل ودخل ودغل ؟

يرى بعض الدّارسين أنّ الغرب ينظر إلى الإسلام أنّه الخطر المهدّد للوجود المسيحي، بل إنّ الإسلام أصلا جاء ليقضي على المسيحية: "...فالإسلام في نظر الغرب المسيحي جاء ليهدم المسيحية، ولذلك لابدّ من محاربته، من أجل حماية العقيدة المسيحية. " ([2]). فبدأت الحملات بتشويه هذا الإسلام، ونعته بنعوت تثير حوله الكراهية والعداء، وتهيّء النّفوس لمواجهته ومجابهته، بِمختلف الوسائل والسّبل.

هو مجموعة من التّناقضات وكتلة من الصّراعات، التي لا تخدم الثّقافة الغربية، بل تقوّض أركانَها. وقد حرص بعض المنظّرين والمنظّمين لحملات التّشويه والتّزييف للإسلام أن يصنعوا منه عدوّا خطيرًا على الغرب.: " لقد أدرج أوّلهما (فوكوياما) الإسلام على أنّه عالم من الصّراعات القومية والأيديولوجية الممتنعة عن الثّقافة اللّيبرالية والدّيمقراطية. كما رأى الثّاني (هنتنغتون) في الإسلام انطلاقًا من الإنتروبولوجيا التّاريخية ثقافة مغلقة، وحضارة في صدام دائم مع الحضارات الأخرى، ولا سيّما الغرب. و إذا نظرنا إلى فلسفتهما نَجدهما قد نجحا في أن يصنعا من الإسلام عدوًّا للغرب، وأن يعبدا الذّاكرة العدائية الغربية تجاه الإسلام، بدلاً من الدّعوة إلى التّسامح والمحبّة.

[1] – الإسلام والغرب، مواجهة أم حوار، مرجع سابق، ص: 109، 110.

[2] – المرجع السّايق، ص : 56.

ولعلّ هذا ما يفسّر ما تلوكه الألسنة والأقلام والصّور المهينة للنّبيّ في الإعلام الغربي، وكذلك الأحكام المسبقة عن هؤلاء، وعن أولئك. " ([1])

من جملة ما يهيئ السّبيل لإلغاء الحضارة الإسلامية، وإبعاد الثّقافة الإسلامية من الوجود إعلان الحرب عليها داخل الإسلام، والتدّرج في ذلك باقتراح إسلام يتناغم مع التّوجّه الغربي، ثمّ فرض النّماذج التي تحقّق التّحوّل عن الإسلام الحقيقي إلى الإسلام الذي يقبل كلّ المخطّطات الذي تعرض، بأيّ مسمّى كان، وقد يكون ذلك باسم الحوار والتّسامح والتّنازل عن المقوّمات، إلى أن يَحين حَيْنُه، فيمحى من الوجود نهائيًا. هذه النّظرة يراها الدّكتور محمد عمارة متجسّدة في تفكير فوكوياما، وفي تدبيره، وفي دعواته: " أمّا المفكّر الاستراتيجي الشّهير، والمشير على صانع القرار الأمريكي" فرانسوا فوكوياما فإنّه يصوغ ويفصّل هذا الذي سمّاه توماس فريدمان حربًا داخل الإسلام، وذلك عندما يعلن أنّ أمريكا تريد تغيير طبيعة الإسلام، وتبديل أخصّ خصوصياته، تريد إسلامًا أمريكانيًا، إسلامًا ليبراليًا، يقبل الصّليبية الغربية، ويتسامح مع الصّهيونية العنصرية، إسلامًا حداثيًا، يقيم قطيعةً معرفية كبرى مع ماضيه، ومع خصوصية منهاجه الشّامل للدّنيا والدّين، إسلامًا علمانيًا يقبل المبدأ المسيحي:(دعْ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله) ليقف هذا الإسلام مثل النّصرانية عند ما لله من شعائر وعبادات، تاركًا دنيا المسلمين للعلمانية والتّغريب والقيصر الأمريكي." [(2)]

[1] – أحمد بن عليّ تمراز، عرض وتحليل لكتاب " الإسلام في تصوّرات الاستشراق الإسباني" لمحمد عبد الواحد العسيري، مجلّة إسلامية المعرفة،(المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السّنة الحادية عشرة، العدد: 44، ص: 191، 192.

[2] – في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 122، 123.

هل يبدأ هذا المخطّط بواسطة الحوار والمناقشات والجدل؟ ثمّ يستغلّ هذا الحوار – بخاصّة - في تغيير طبيعة الإسلام، بالتي هي أحسن، وبالتي هي أخشن؟ و إذا صحّ هذا الزّعم، وأشير إلى شنّ حرب من داخل الإسلام، فما هي المصداقية التي تعطى للحوار؟ هنا يجب التّوقّف وتحليل الخطابات الموجّهة، والخطوات المقترحة، والتّحرّكات المطبّقة، باسم الحوار وما يدور في فلكه.

هذه الحرب المقترحة، والتي ما فتئت تشنّ بوسائل مختلفة، وتلبس ألبسة متنوّعة، ويُركَب لها مراكب متعدّدة...هي استجابة لدافع الدّفاع عن النّصرانية المنحرفة، التي تدثّرت بالإسلام، كما ادّعى ذلك " رامول يول" و" آسين بلاثيوس " وغيرهم [1]

هذا الدّفاع يمتطي صهوة الحوار، فيعمل على إزالة هذا الانحراف، وردّ الأمور إلى نصابها، أي إرجاع المسلمين إلى جادّة الصّواب بتنصيرهم، والتّعاون في ذلك مع القوى التي تحمل حماسة وغيرة للنّصرانية." لقد وطّنّا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كلّ النّصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي. إنّ النّصارى البروتستانتية في الشّرق الأوسط و إفريقيا وآسيا منهمكون بصورة عميقة ومؤثّرة في عملية تنصير المسلمين. ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم..وعلى المواطنين النّصارى في البلدان الإسلامية و إرساليات التّنصير الأجنبية العمل معًا بروح تامّة، من أجل الاعتماد المتبادل والتّعاون المشترك لتنصير المسلمين." [2]

---

[1] – ينظر مجلّة إسلامية المعرفة، العدد: 44، مرجع سابق، ص: 193.

[2] – في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 161.ينظر مقرّرات مؤتمر كولورادو سنة 1978م، عن الكنسية البرونستانتية ص: 160 المرجع نفسه.

من المؤكّد أنّ هذه الحملات المخطّطة، وهذا التّعاون المشترك، والاعتماد المتبادل على القيام بعملية التّنصير في داخل العالم الإسلامي، بواسطة الكنائس، والمواطنين، والإرساليات التّنصيرية... كلّ هذا يعدّ حربًا من داخل الإسلام على الإسلام.

يوجّه محمد عمارة انتقادًا لاذعًا حين يتّهم الغرب بمحاولة التّعرّف على الإسلام، والتّقرّب منه، والتّحاور معه، لا بنيّة التّعارف والتّعايش معه، ولكن ربّما ليكون هذا مرحلة ممهّدة لتنصير أتباعه: " ليحذفوه ويطووا صفحته، بتنصير المسلمين، وهم لا يريدون الحوار مع المسلمين بحثًا عن القواسم المشتركة، حول القضايا الحياتية، التي يمكن الاتّفاق على حلول إيمانية لمشكلاتها، وإنّما ليكرّسوا - أو على الأقلّ يصمتوا - عن المظالم التي يكتوي المسلمون بنارها، والتي صنعتها وتصنعها الدّوائر الاستعمارية، التي كثيرًا ما استخدمت هذا الآخر الدّيني في فرض هذه المظالم وتكريسها في عالم الإسلام." [1]

يرى الدّكتور محمد عمارة أنّ الحوار الدّيني يفتح، ولكن من دون التّطرّق إلى إرجاع الحقوق الفطرية للشّعوب الإسلامية، التي اعتدت عليها هذه الجهات التي تطلب الحوار. هذه الحقوق تتمثّل في حقّ تقرير مصيرها، واسترجاع سيادتها على أراضيها وممتلكاتها المادية والمعنوية، وتمكينها من لملمة جراحها فيما أصيبت به، في كثير من بقاع الأرض، التي هي ملك لها، وحقّ لها. كيف يكون الحوار ويسكت عن هذه الأمور فيه؟ إنّ الحوار بهذه الصّفة، إمّا أن يكون ناقصًا، أو يكون مدخلا مفخّخًا..

إذا كان الحوار يُتّخذ وسيلة من وسائل تحقيق هذه الغاية، نتساءل أيضًا عن الهدف من الحوار المنشود مع الآخر، ونستفسر عن حقيقة هذا الحوار في الواقع

[1] - المرجع السّابق، ص : 159.

والميدان؟ ونسأل عن مدلول الحوار في ثقافة هؤلاء؟ هل سيبقى الأمل قائمًا في الوصول بالحوار إلى نتيجة حسنة، تساعد على التّصحيح والتّقريب والتّعارف؟؟ هل في تفكير القادة والموجّهين ما يدعو إلى التّفاؤل بأهميّة الحوار وجدواه؟

إنّ مقولة " لا خلا ص خارج الكنيسة" تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق ذلك. فرغم دعوة بعض الزّعماء إلى فتح الحوار مع غير المسيحيّين، فإنّ فكرة النّموذج الأحسن والالزام والأوكد في حياة النّاس، المتمثّل في المسيحية يكون عائقًا في إجراء حوار بنّاء مثمر.

إنّ أحد أقطاب البحث في العلاقة بين المسيحية والإسلام في القرن العشرين، وهو " لويس ماسينيون"، حاول إعطاء صورة أكثر إيجابية للقاعدة الكاثوليكية" لا خلاص خارج الكنيسة " تسهم في التّقريب بين الأديان، وهو ما أوصله إلى أن يعدّ الديانات الثّلاث كلّها تسعى إلى أمل " الخلاص ": " في حالة ماسينيون كان الاستناد إلى الميراث الإبراهيمي لإعادة تشكيل العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام. وهو قد دعا الكاثوليكية المسيحية إلى رؤية المسلمين بذلك من خلال النّبيّ إسماعيل عليه السّلام. وبذلك تلتقي الأديان الثّلاث عند نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام. هذا الالتقاء يجعلها جميعًا في خطّة إلهية واحدة " للخلاص" الإلهي. فاليهودية في السّياق الذي يقدّمه ماسينيون هي دين الأمل، والمسيحية دين المحبّة، ثمّ يأتي الإسلام ليكون دين الإيمان. فهو يحثّ المسيحيّين على اعتبار القرآن مصدرًا دينيًا صحيحًا، فهو أي القرآن مصدّق لما جاء في التّوراة والإنجيل..." [1]

هذا التّوجّه جيّد ومهمّ ومشجّع على المضيّ قدمًا في الحوار. و إزالة الغشاوة عن القلوب والعقول؛ لتقترب من الآخر، فتعرف ما عنده، ثمّ تعترف له بذلك.

[1] – مجلّة إسلامية المعرفة، السّنة الحادية عشرة، العدد : 44، ص: 160 لويس ماسينيون متخصّص بالدّين الإسلامي والتّصوّف.

وهو ما يجب أن يكون. ولكن حين نقرأ كلامًا آخر، يتشبّث بأحقية الدّاعي إلى هذا الحوار وأفضليته على من سواه، يقول فيه " كارل راهنر": " إنّ المسيحية دين أكيد لكلّ البشرية، والمسيحية لن تقبل بدين آخر إلى جانبها بسمات وأولوية مماثلة، فالمسيحية الصّورة الجيّدة الحقة للدّين الذي يقدّم فيه الإله الخلاص لكلّ البشرية من خلال المسيح." [1]

هذا الادّعاء، وهذه النّظرة تعكّر صفو الحوار، وتعطّل صيرورته، وتقلّص من نتائجه الإيجابية، وتجعل لهذه الخطوات معوّقات؛ لأنّها لا تسير كما يريد لها أن تسير لتحقّق الغاية النّبيلة من التّحرّك. وهذا ما جعل أحد الدّارسين يقلّل من الخطاب المسيحي مع غير المسيحيّين، ومع المسلمين بخاصّة. الذي وإن شهد تحوّلا تاريخيًا سريعًا، على المستوى الرّسمي الكنسي والفكري الثّقافي" بإنشاء الحوار الدّيني. إلاّ أنّ السّؤال الذي يفر ض نفسه جليًّا، ضمن هذا السّياق هو: إلى أيّ مدًى كان هذا التّحوّل ضمن الوثائق الرّسمية، التي أعلنتها الكنيسة المسيحية في الغرب على اختلاف فرقها. ومن ثمّ يطرح التّساؤل عن فعل هذه الوثائق – إن كان لها فعلٌ حقًّا – في تغيير الصّورة النّمطية التي حملها الغرب المسيحي عن المسلمين وعن الإسلام." [2]

صور كثيرة قدّمها الغرب عن الإسلام، تجعله محلّ نفور منه، من غير أبنائه، ومجال تشكيك من أبنائه.. إنّ الذين يقدّمون الإسلام بأنّه دين الإرهاب والتّخلّف والتّعصّب والاعتداء والغصب والقهر وتعطيل دولاب التّقدّم والتّطوّر... [3] لا يمكن أن ينتظر منهم حوار جادّ مخلص هادف إلى الوصول إلى

---

[1] – المرجع السّابق، ص: 161. قدّم هذا راهنر اليسوعي الألماني المتخصّص في العقائد الدّينية غير المسيحية، في محاضرة قدّمها أمام الأمانة العامة للمجلس الفاتيكاني سنة 1961م.

[2] – مجلّة إسلامية المعرفة، العدد: 44، مرجع سابق، ص: 156.

[3] – ينظر مبحث " صورة الإسلام في التّراث الغربي" كتاب: فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 136 – 142.

غاية نبيلة، ترفع الصّراع، وتدفع النّزاع، وتنقع الصّداع. إنّ الحوار الذي ينطلق من هذه الصّورة، لا يستطيع أن يلغي هذه الاتّهامات، إلاّ إذا غادرت هذه المؤامرات أذهان الصّانعين لَها، فتنتفي عن هذا الحوار صبغة الصّراع.

قبل الحوار يجب: " إدانة ثقافة التّخويف والتّرويع والإرهاب، التي ينتهجها الآخر، بلا مبرّرات، إلاّ مجرّد استعراض القوّة، أو محاولة تغيير موازين الحقّ والباطل، أو نشر ثقافة القتل والإبادة والإفساد والتّخريب والتّدمير، دون حساب لتأطير محورَي الخير والشّرّ، إلاّ من قبيل الأهواء والأمزجة، والاندفاعات الجادّة، إلى الغزو الثّقافي الهادف – أحيانًا – إلى إسقاط ثقافتنا من الحسبان، أو فرض نموذج مختلف، أو برنامج قهري، أو ما يشبه ذلك، من إيهامنا بما ليس فينا، من تعصّب أو تخلّف..." [1]

إنّ هذا الذي يسعى إليه الغرب هو عمل مدروس لإبعاد الإسلام عن السّاحة، وعن الأذهان وعن الوجدان، بِمختلف الطّرق والوسائل، وقد يَتّخِذ الحوارَ وسيلةً لذلك في بعض الأحيان. وقد نجح في ذلك في كثير من المواقف والمشاهد والمنابر... فبتصرّفاته ومخطّطاته كان الإسلام مهمّشًا إلى جانب ثقافات أخرى: " استطاع الغرب، وعن طريق استخدام جميع الوسائل أن يقوم بعمليات تهميش وتحييد للأفكار والأنظمة الأخرى، وطَرَحَ بديلاً عن ذلك أفكاره وأنظمته، ولكن تحت شعارات برّاقة خدّاعة، مثل العولمة الثّقافية والإعلامية. " [2]

---

[1] – الحوار الثّقافي ...، مرجع سابق، ص: 119. عمّا يعترض أو يعيق الحوار المسيحي الإسلامي ينظر مجلّة إسلامية المعرفة، العدد: 44، ص: 188، 189.

[2] – عولمة الإعلام والثّقافة، مرجع سابق، ص: 117. ينظر موضوع " الثّقافة والعولمة" ضمن بحثنا " ماذا يراد بحوار الحضارات"، مجلة الحياة، معهد الحياة (معهد الحياة)، القرارة، الجزائر، العدد: السّادس، رمضان 1423هـ/ نوفمبر 2002م، ص: 157 – 161.

هذه العولمة يركب إليها الغرب متن الحوار، لكنّه يوجّهه كيف يشاء، مادام الهدف هو فرض نموذجه، بأفكاره وأنظمته. التي لا يسمح بالتّنازل عنها، مادام يملك القوّة الضّاغطة على من يتحاور معه. من هنا يفقد الحوار مصداقيته، إذ يصبح مفهومًا عائمًا غائمًا، ويصير لغمًا خطيرًا على ثقافة من يتقدّم ليتحاور معه. وقد ينقلب صراعًا. لذا يتساءل الدّارسون عن جدوى هذا الحوار، وماذا ننتظر منه والميزان فيه يختلّ، من حيث الاعتراف المتبادل، الذي هو أحد شروط الحوار المثمر. وهو ما ينشئ خللاً في التّوازن.

يقول محمد عمارة: " فكيف يكون.. وكيف يثمر حوار ديني بين طرفين، أحدهما يعترف بالآخر، ويقبل به طرفًا في إطار الدّين السّماوي، بينما الطّرف الآخر يصنّفنا كمجرّد واقع، وليس كدين، بالمعنى السّماوي لمصطلح الدّين." ([1])

وصل الكاتب إلى هذه النّتيجة، واقتنع بها حين لاحظ أنّ كلّ ما دار من حوار بين الشّرق والغرب، كان مفتقرًا إلى شروط الحوار الحقيقية، ومفتقدًا إلى أرضية التّلاقي الصّلبة الصّحيحة: " ذلك أنّ كلّ الحوارات التي دارت وتدور بين علماء الإسلام ومفكّريه وبين ممثّلي كنائس النّصرانية الغربية، قد افتقدت، ولا تزال مفتقدة لأوّل وأبسط وأهمّ شرط من شروط أيّ حوارٍ من الحوارات ألا وهو شرط الاعتراف المتبادل والقبول المشترك بيم أطراف الحوار" [(2)]

في الحقيقة إنّ ما عرضه الدّكتور محمد عمارة من الحواجز التي تعترض الحوار بين الثّقافات والحضارات. هو أحد التّحدّيات التي توجدها العولمة وتواجهها. فهي تتبنّى أسلوب الحوار، لكنّ تطبيقها يبعث الرّيبة في نفوس من

[1] – في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص: 159.

[2] – المرجع السّابق، ص:157. ورد ت هذه الفقرة ضمن المبحث الذي كتبه المؤلّف في الكتاب تحت عنوان: " حوار الأديان..هل هو حوار طرشان. ص: 156 – 167.

يرى نفسه مستهدفًا ومستغلاّ ومجرورًا إلى متاهات ومضايق ، لا يستطيع منها خروجًا. إنّ هذا من نتائج عدم وضوح مفهوم مصطلح حوار الحضارات في الأذهان. يتساءل الدّكتور باسم علي خريسان عن الطّبيعة التي سوف تكون عليها العلاقات بين الثّقافات والحضارات المتقاربة في ضوء العولمة: " هل العولمة سوف تساعد على تعارف الثّقافات بعضها على البعض الآخر، ممّا يساعدها على الدّخول في علاقات تعاون وحوار، أم العكس سوف يؤدّي التّقارب المتزايد بين الثّقافات إلى دخولها في صراع يهدّد السّلام والاستقرار في الحضارات." [1]

هل معنى هذا أنّ مستقبل العلاقات بين الثّقافات والحضارات في ظلّ العولمة ستكون مبنية على أساس الصّراع، الذي يؤدّي إلى النّزاعات، التي ستفضي إلى انقسام العالم، ثمّ إلى سقوط العولمة نفسها [2]

حوار الحضارات لن يأخذ مجراه الطّبيعي، ولا يسير في خطّه المستقيم، ولن تفهم الدّلالة الحقّة التي يحملها، ولن ينجذب إليه بصدق وإخلاص من ينشد الأمن والاستقرار والتّفاهم والتّعاون والتّعايش... إلاّ إذا وعى المتحاورون حقيقة هذا الحوار، الذي يساعد أو يحمل على: " إدراك الطّبيعة النّوعية للحدود الفاصلة بين الحريّة والفوضى، بين الحوار والصّراع والتّعدّدية، خروجًا من ذلك التّيه العميق برؤية وموقف وخطّة عمل، تعزّز دور الأديان، دون مسخ للحقائق، أو تشويه للثّوابت، أو التّشويش حول الحقائق، بقدر ما هو مطلوب من تعظيم ثقافة الإنتاج، وعمق المنهج، وتحديد المصطلح والمفاهيم، بعيدًا عن

[1] – العولمة والتّحدّي الثّقافي، مرجع سابق، ص: 153.

[2] – المرجع السّابق، ص: 161. ينظر أيضًا، عبد الله عبد النّديم، " التّربية والقيم الإنسانية في عصر العلم والتّقانة والمال"، مجلّة المستقبل العربي، العدد: 230، 1998م، ص: 77.:

الانحياز أو التّزييف، واحترامًا لضوابط العقل، الصّحيح، الذي يعيد إلى الأمور ما قد يبدو معوجًّا منها في اتّجاه مضاد." [1]

هنا يجب البحث عن غائب آخر مهمّ في وعي مصطلح "حوار الحضارات"، والاقتناع بجدواه، إنّه عنصر الإتيان بشروطه كاملة، حتّى لا يتحوّل إلى صراع، أو يبقى عاجزًا عن تحقيق المراد له ومنه.

شروط إجراء الحوار

كثيرٌ هم الذين يدعون إلى الحوار، لكنّهم يخطئون طريقه، فينحرفون به عن سواء السّبيل، فينجرفون إلى متاهات وضلالات وظلمات. بسبب أو دافع أو عامل، مهما يكن، وهذا من الأبعاد الغائبة في حوار الحضارات. وقد نبّه إلى هذه الشّروط بعض الدّارسين ([2]) من هذه الشّروط:

1 – الالتزام بآداب الحوار. أي الانطلاق من القيم وتحكيمها في تسيير الحوار.

2 – الاحترام المتبادل والاعتراف المتبادل بين المتحاورين.

3 – امتلاك زمام الحوار يشكل فعلي، بعيدًا عن التّصادمية ومنطق الصّراع. والتّخلّي عن فلسفة الصّراع إلى فلسفة التّدافع بين الحضارات والثّقافات.

4 – عدم مجافاة ثقافة الآخر، واحتقار حضارة الغير، وتهميش فكر الثّاني.

---

[1] – الحوار الثّقافي ..مشروع التّواصل والانتماء، مرجع سابق، ص: 119، 120.

[2] – ينظر مثلا : كتاب الحوار الثّقافي..مشروع التّواصل والانتماء، المباحث الآتية: "منهج الحوار الثّقافي"، ص: 133 وما بعدها. و" السّابقون إلى الحوار"، ص: 136 وما يعدها. و" مرجعية الحوار"، ص: 142 وما بعدها. و" نتائج الحوار الثّقافي"، ص: 162 وما بعدها.: ومحمد بن قاسم ناصر بوحجام، " ماذا يراد بحوار الحضارات" مبحث " شروط إجراء الحوار"، مجلّة الجياة، العدد: السّادس، ص: 163- 167.

5 – عدم العمل على تكريس التّخلّف عن قصد وعن مخطّطات مسبقة. وعدم الوقوف " عند منطق الخصومة والعدوان، أو عند دوائر السّيطرة والطّغيان، بما يعوق الضّعفاء عن الاشتراك في الرّكب، أو تحقيق الإنجاز، أو التّفرّغ للإسهام في منظومة تقدّم الإنسان. " [1]

6 – البحث عن المشترك الثّقافي، والمشترك الإنساني، وإجراء الحوار من منطلقهما وحولهما، وفيهما. واتّخاذهما مدخلاً لتخطّي الخلافات والصّراعات المصطنعة أو المغرضة.

7 – " التّحلّي بالموضوعية وإعمال العقل المتفتّح في استيعاب إنجازات الآخر، وتبادل المصالح معه، وحتّى صناعة المصالحة من خلاله" [2] والتخلّي عن الرّعونة والذّاتية والعاطفة الجامحة الجانحة إلى الإيقاع بثقافة الآخر.

8 – المحاورة والمجادلة بالحسنى، والابتعاد عن الغلظة والفظاظة والجفاء.

الحوار هو الأصل المتين للتواصل الفكري والحضاري

كلّ ما عرض فيما سبق، وما قدّم من أسئلة وأطروحات، كان الهدف منه تحليل مصطلح الحوار، واستيضاح ما فيه من غموض وإبهام، وهو ما سمّاه عبد الله التّطاوي " حوار حول ظاهرة الحوار" [3] لما التبس المفهوم من ضبابية وهلامية، تضعه أحيانًا في دائرة المرغوب عنه، أو المرهوب منه، أو المغضوب عليه. هذا التّناول يصحّح هذه النّظرات إليه، ممّا يهيئُه لأن يكون مطيّة للوصول إلى العيش في توافق وانسجام ووئام وسلام. وهو ما يدعونا في نهاية المطاف إلى وجوب السّير في طريق الحوار إلى النّهاية، وإقامة جسور تعاون حتّى تتواصل الثّقافات وتتقارب الحضارات، مع عدم الانزعاج من اختلاف

[1] – الحوار الثّقافي..مشروع التّواصل والانتماء، مرجع سابق، ص: 72.

[2] – المرجع السّابق، ص: 103.

[3] – ينظر الموجع السّابق، ص : 153.

مضامين الثّقافات، يقول النّبهان محمد فاروق: " إنّ تعدّد الحضارات واختلاف منطلقاتها ، لا يعني التّناقض والتّصادم، وإنّما يعني التّكافل والتّكامل في إثراء مسيرة الإنسان، وتطوير فكرة وإغناء تجربته.. والحضارة الجديرة بالاحترام، هي تلك الحضارة التي تنمّي في الإنسان إنسانيته، وتغذّي فيه قيم التّعايش والتّساكن، في سبيل إعمار الأرض، وإسعاد الإنسان."[1] بهذا المفهوم "يظلّ الحوار المدخل الأوّل لمنظومة التّجديد الثّقافي على اختلاف أبعادها ومحاورها ومستوياتها، كما يظلّ الأصل المتين للتّواصل الفكري في تاريخ الشّعوب والأمم. "[2]

كلّ ما يطلب هو وعي حقيقة الحوار، ودوره في التّقارب، ثمّ التّعايش. وعدم الانحراف به عن سواء السّبيل، وتوظيفه في أغراض خاصّة، ومصالح ذاتية على حساب حقوق الآخرين. كما يجب مواصلة البحث فيه، لتصحيح المفهومات الخاطئة، وتقويم الخطوات المشبوهة. نحن مع الدّكتور عبد الله التّطاوي حين يقول: " قضية الحوار ونتائجه، تستحقّ من الدّراسات التّربوية والاجتماعية والنّفسية والعلمية، ما يتوقّع من أهميّته وضروراته، دون تجاوز أو قصور، بما يعزّز حقول دراساته وتعدّدية الآراء حول مساحاته، وضمان تحويله إلى مشروع ثقافي ناجح بكلّ المقاييس."[3]

إنّ الاقتناع بهذه الحقيقة، والتّشمير عن ساعد الجدّ لمواصلة الجهود بمنهجية وتخطيط، وتحويل هذا العمل إلى مشروع يمتدّ لسنوات عديدة، وربمّا لعقود، يعطي للحوار مصداقية كبيرة، ويزيل عنه كثيرًا من الشّبهات، ويبعد عن دربه الطّفيليّين، الذين لا يحسنون سوى تشويه طبيعته، وتحريفه عن مساره الحقيقي.

---

[1] – الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص: 37- 377.

[2] – الحوار الثّقافي، مشروع التّواصل والانتماء، مرجع سابقــ ص: 155.

[3] – المرجع السّابق، ص: 164.

يلحّ الدّكتور محمد علي عمر الفرّا على القول إنّ: " الحوار على مستوى الأديان، والذي قام به الفاتيكان ، وقطع شوطًا لا بأس به، يجب أن يتعزّز بحوارات سياسية واجتماعية واقتصادية وأمنية وغيرها، تعالج جميع القضايا العالقة بين الشّرق والغرب، وتفتح صفحة جديدة في العلاقات بينهما، على أساس النّديّة والتّكافؤ والاحترام المتبادل بين الأمم والشّعوب والدّول..." [1]

الخاتمة

أسئلة كثيرة تبقى عالقة في تحديد مفهوم مصطلح " حوار الحضارات " من منطلق الواقع الذي يعيشه من يدعو إليه، ويباشره. [2] لأنّ المسيرة الطّويلة للعلاقات بين الثّقافات والحضارات، والمواقف الكثيرة التي كانت بينها عبر المراحل المختلفة، وفي الأصعدة المتعدّدة والمتنوّعة، والأفكار التي تنظّر وتنظّم هذه الحوارات، والدّوافع التي كانت وما تزال تدفع الحوار وتسيّره... متباينة ومتناقضة أحيانًا، وخاضعة أحيانًا أخرى لنزعات خاصّة، ومصطبغة بألوان السّياسة، ومرتبطة بالمادية والنّفعية... ممّا يعيق إجراء حوار نزيه بنّاء...فتبقى أسئلة كثيرة في حاجة إلى إجابات دقيقة وصريحة، وهو ما يدعو إلى التّحلّي بالشّجاعة والصّدق والإخلاص لمواصلة البحث؛ للإجابة عن الأسئلة العالقة؛ رغبة في إزالة الحواجز والعقبات والمعيقات والمثبّطات من طريق الفهم الواعي والمسئول لمصطلح " حوار الحضارات"، الذي يظلّ ضرورة حياتية، ومطلبًا

[1] – الإسلام والغرب..مواجهة أم حوار، مرجع سابق، ص: 219، 220.

[2] – ينظر مثلا مبحث " أسئلة حائرة..وما زالت الإجابة مفتوحة" كتاب الحوار الثّقافي..مشروع التّواصل والانتماء، مرجع سابق، ص: 71 – 73. حتّى ولو كان الأمر يخصّ العرب، ضمن البحث في موضوع: " العرب بين ثقافة التّعبير وتغيير الثّقافة" فإنّ كثيرًا ممّا عُرض صالح لعموم الحوار.

شرعيًا، ومنزعا نفسيًا وواجبًا دينيًا...لابدّ منه في مسيرة النّاس وعلاقاتهم؛ ليعيشوا في سلام ووئام. بعد أن تتقارب ثقافاتهم وحضاراتهم؛ فتتعاون على إثراء الفكر الإنساني، وتدفع عجلة العمل والنّشاط إلى الأمام موضوعةً على سكّة سليمة من العطب، أو على أرضية صلبة، تقي من الاضطراب في الانطلاق؛ بتوفير الأجواء الصّحية، وتَهيّئة البيئات النّظيفة للتّحرّك والعمل.

إذن إنّ لغة الحوار هي الأصل في التّعارف بين الأمم والشّعوب. ويجب أن يكون هذا الحوار على المستوى العقلي والإنساني، توضع له أسس وقواعد، ينطلق منها، ويصدر عنها، وتهيّأ له أدواته ووسائله التي تتناسب مع طبيعته، وتوفّر له الشّروط والظّروف الملائمة. إنّ هذا يتطلّب الإجابة المقنعة والبنّاءة عن الأسئلة التي عرضناها وعن غيرها، من دون إحجام بسبب الخوف أو الجبن أو الانهزامية. ومن دون اندفاع؛ استجابة لدافع الحماسة المفرطة، أو العاطفة الجامحة...إنّما تزن الخطو، وتقدّر المسافات، وتتّقي الانحراف. وهذه الأسئلة التي نعرضها، هي التي توضّح الأمور، وتزيل الغموض، وتفتح مجالات للمراجعة، وتمنح فرصًا للإضافات، وتمنع الاستمرار في الغلط واللّغط والشّطط..